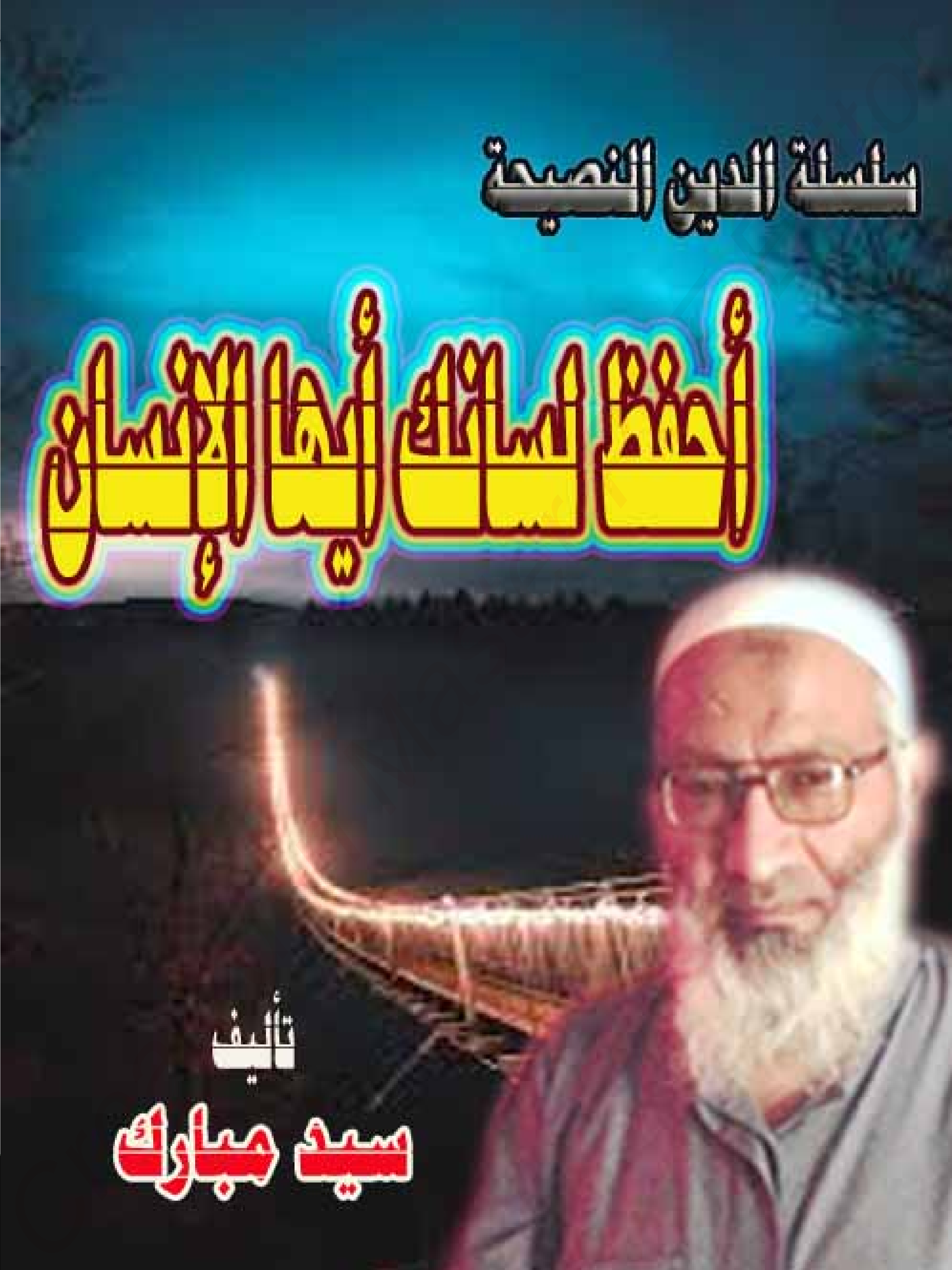

سلسلة الدين النصيحة
أحفظ لسانك أيها الإنسان
تأليف
سيد مبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين حمد عباده الشاكرين الذاكرين، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فإني أستعين بالله تعالى وأستهديه وهو العزيز الحميد الهادي إلى الصراط المستقيم وأقدم بين يدي القارئ المسلم «الجزء الثامن » من كتابي « سلسلة الدين النصيحة » بعنوان (احفظ لسانك أيها الإنسان) .

واللسان كما هو معلوم أخطر الجوارح بعد القلب ،

Created in Master PDF Editor

ومهمة اللسان هي الكلام والإنسان بطبعه يتكلم ويثرثر كثيرًا بسبب وبدون سبب وخصوصًا في زماننا هذا .

وخطورة اللسان أنه قد يؤدي بصاحبه إلى نار السعير، كما أنه قد يكون سببًا في دخوله جنات النعيم وفي أعلى عليين . وللإنسان أن يختار أي الطريقين يسلك

وفي هذا الجزء توضيح وبيان لخطورة اللسان وأخطر آفاته ، ليموت من مات عن بينة ويحيا من حيي عن بينة ، وما على الرسول إلا البلاغ .

واسأل الله لي ولك ولجميع المسلمين حسن الخاتمة في الدنيا والآخرة إنه نعم المولى ونعم النصير .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سيد مبارك (أبو بلال)

Created in Master PDF Editor

خطورة اللسان

مما لا شك فيه أن اللسان من أعظم النعم التي منّ الله بها علينا إن حفظناه عن الآفات التي سوف نكتب عنها بعد قليل .

فجارحة اللسان قد تؤدي بصاحبها إلى الجنة بما فيها من نعيم مقيم .

كما أنها قد تؤدي بصاحبها إلى النار بما فيها من عذاب عظيم .

والكتاب والسنة طافحان بالتحذير والترهيب تارة ، والحث والترغيب تارة أخرى فأي الطريقين شئت اختار وتحمل عاقبة اختيارك .

قال تعالى : ﴿ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره ﴾ [القيامة : ١٤ ، ١٥] .

واعلم أخي القارئ أنك مسئول عن كل ما تنطق به بلسانك فكن حريصًا ولا تقل إلا خيرًا ولا تتكلم إلا فيما يعنيك .

قال تعالى : ﴿ **ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ [ق : ١٧] .

وقال النبي ﷺ : « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت** »[1] .

وهناك عشرات الآيات والأحاديث سوف نذكرها حسب موقعها من الآفات وإليك ما قيل عن اللسان وخطورته من أقوال الصحابة والتابعين وتابعي التابعين خير قرون الإسلام على الإطلاق .

- كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه عن الكلام، وكان يشير إلى لسانه ويقول:

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ح٦٠١٨/ فتح)، ومسلم (١/ إيمان/ ١٦٨/ ح٧٤).

هذا الذي أوردني الموارد .

- وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : والله الذي لا إله إلا هو ما شيء أحوج إلى طول سجن من لسان .

- وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود : حق على العاقل أن يكون عارفًا بزمانه .. حافظًا للسانه .. مقبلاً على شأنه .

- وقال الحسن : ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه .

- وقال الأوزاعي : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز «رحمه الله» ..

أما بعد .. فإن من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ، ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه .

- وقال الحسن تكلم قوم عند معاوية رضي الله عنه ، والأحنف بن قيس ساكت فقال له : ما لك يا أبا بحر لا

تتكلم ؟ فقال له : أخشى الله إن كذبت ، وأخشاك إن صدقت .

وعشرات من الأقوال والآثار التي تدل على مدى حرص وحذر سلفنا الصالح من الوقوع في آفات اللسان .

ولكن . . في زماننا هذا في عصر الكومبيوتر والإنترنت والاستنساخ . . يتحدث الإنسان في أي شيء وكل شيء . على المقاهي وفي البيوت والنوادي وفي المجالس الخاصة والعامة ومن خلال موضة الموبيل والتليفون العادي الحديث لا ينقطع ، انتشرت الغيبة والنميمة على الألسن ، وصار للكذب ألوان وأشكال فهذا أبيض وذاك أسود ، وشهادة الزور لمن يدفع ، والمراء والجدال في كل شيء في السياسة والكورة حتى الدين .

فحذاري حذاري من لسانك وأحمد الله تعالى أن جعل له باب تغلقه إن أسأت الأدب وخرجت عن حدود الله

Created in Master PDF Editor

تعالى ، واعلم أنه لا يستقيم إيمانك حتى يستقيم قلبك ولا يستقيم قلبك حتى يستقيم لسانك .

– وفي الحديث الصحيح عن أبي سعيد مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ أنه قال :

« **إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان أي تقول له اتق الله فينا فإنك إن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا** »[1] .

وهكذا عليك أن تروض لسانك حتى لا تؤذي غيرك وتذكر قول الله تعالى : ﴿ **والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانًا وإثمًا مبينًا** ﴾ [الأحزاب : ٥٨] .

ولله در القائل :

---

(١) ذكره الألباني في صحيح الجامع (٣٥١) وقال حديث حسن .

Created in Master PDF Editor

وصمتك خير من إثارة فتنة

فكن صامتًا تسلم وإن قلت فاعدل

ولاتك في ذم الأخلاء مفرطًا

وإن أنت أبغضت الصديق فأجل

فإنك لا تدري متى أنت مبغض

حبيبك أو تهوى بغيضك فاعقل

آفات اللسان

آفات اللسان كثيرة وسوف يقتصر حديثنا على ثمانية من الآفات وهي من وجهة نظري أخطر آفات اللسان ،والتي يقع فيها كثير من الناس إلا من رحم ربي ، مع البيان والتوضيح بالآيات والأحاديث الصحيحة وأقوال السلف وآثارهم لنكشف الغمة عن قلوب الغافلين الذين يتحدثون بلا خوف من حساب أو رادع من عقاب ليمت من مات عن بينة ويحيا من حي عن بينة والله المستعان .

الآفة الأولى :

الكلام فيما لا يعنيك

وهذه أول الآفات ، ولن تجد إلا القليل ممن لا يتكلمون إلا فيما يعنيهم فإن فضول الكلام وشهوة الحديث والأخذ في أعراض الناس يقع فيها الكثير وتسمع ألفاظًا وعبارات مثل :

فلان تزوج فلانة .. فلان طلق فلانة .. فلانة اشترى لها زوجها كذا وكذا ، ابن فلان حدث له كذا .. وعشرات الحكايات عن الناس ويبدأ البعض في التحدث بصحة أو خطأ ما فعل فلان أو فلانة ثم ينتقل الحديث إلى آفة أخرى فيأكل البعض لحم أخيه بالغيبة أو بالنميمة أو البهتان .. إلخ .

والمسلم الحق ينائي بنفسه ولا يتكلم فيما لا يعنيه عملاً

بقول النبي ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[١] .

وأيضًا قوله ﷺ : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه »[٢] .

ولو عمل كل إنسان بما أمره به النبي ﷺ لانصلح حاله وما تكلم إلا فيما يعنيه .

* واعلم أخي القارئ أنك إن سألت إنسان غيرك فيما لا يعنيك وضعته بين أمرين :

الأمر الأول : أن يكذب عليك فيسخط عليه ربه .

الأمر الثاني : أن يقول لك فيفشي سره .

ويزيد الأمر توضيحًا صاحب كتاب « الإحياء » فقال ما ملخصه : -

---

(١) وذكره الألباني في صحيح الجامع (٥٩١١) .

(٢) أخرجه البخاري (١ / ١٠ / فتح) .

Created in Master PDF Editor

(أنت تسأل غيرك عن عبادته مثلاً فتقول : هل أنت صائم ؟ فإن قال : نعم ، كان مظهراً لعبادته فيدخل عليه الرياء ، وإن لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر ، وعبادة السر تفضل عبادة الجهر بدرجات ، وإن قال : لا كان كاذبًا ، وإن سكت كان مستحقراً لك ، وإن احتال لمدافعة الجواب افتقر إلى جهد وتعب فيه .

فقد عرضته بالسؤال إما للرياء أو الكذب أو الاستحقار أو للتعب في حيلة الدفع . وكذلك سؤالك عن سائر العبادات . .

وكذلك سؤالك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحي منه ، وسؤالك عما حدث به غيرك فتقول له : ماذا تقول ؟ وفيم أنت ؟ وكذلك ترى إنسانًا في الطريق فتقول : من أين ؟ فربما يمنعه مانع من ذكره ، فإن ذكره تأذى به واستحيا ، وإن لم يصدق وقع في الكذب وكنت

السبب فيه .

وكذلك تسأل عن مسألة لا حاجة بك إليها والمسئول ربما لم تسمع نفسه بأن يقول لا أدري ، فيجيب عن غير بصيرة) [١] اهـ .

وخلاصة القول أنك يجب أن تكون حريصًا فيما تقول وتسأل ، والمؤمن لا يكون صمته إلا فكرًا ، ونظره إلا عبرًا، ونطقه إلا ذكرًا .

* وروي أن رجلاً قال لأصحابه في حضور عطاء بن أبي رباح « رحمه الله » : ألا أحدثكم حديثًا لعله أن ينفعكم فإنه قد نفعني ؟ . . فقال له عطاء : يا ابن أخي إن من كانوا قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام ما عدا كتاب الله تعالى أن يقرأه أحد ، أو أمر بمعروف أو نهيًا عن منكر، أو تنطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك بها ،

(١) انظر إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الغزالي / جـ٣ .

ثم قال : أتنكرون قول الله : ﴿ **وإن عليكم لحافظين * كرامًا كاتبين** ﴾ [الانفطار : ١٠ ، ١١] .

وقوله : ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد * ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد** ﴾ [ق : ١٧ ، ١٨] .

أوما يستحي أحدكم أن لو نشرت عليه صحيفته التي أملاها صدر نهاره ، وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه ودنياه .

* وروي عن الربيع بن خثيم أنه كان إذا أصبح وضع قرطاسًا وقلمًا ولا يتكلم بشيء إلا كتبه وحفظه ثم يحاسب نفسه عند المساء .

وقال أحد الحكماء : إذا كان الرجل في مجلس فأعجبه الحديث فليسكت ، وإن كان ساكتًا فأعجبه السكوت فليتكلم ، والحكمة في ذلك أن يروض نفسه في الحديث عما لا يعنيه .

Created in Master PDF Editor

وقال الشافعي رحمه الله : إذا أراد الإنسان أن يتكلم فعليه أن يفكر قبل كلامه . . فإن ظهرت المصلحة تكلم ، وإن شك لم يتكلم حتى تظهر .

وبعد .. أخي القارئ : أنصحك وأنصح نفسي وغيرنا من المسلمين أن نحترز من الكلام فيما لا يعنينا وأن نترك فضول الكلام وندع الخلق للخالق ولا نتبع خطوات الشيطان إنه للإنسان عدو مبين .

* واعلم أن النصيحة لمن يرتكب خطأ فتنصحه وتتحدث عن أفعاله وأقواله ليرى خطأه ليس مما لا يعنيك بل هو فرض كفاية إن استطعت أن تقوم بها فافعل ولا تخاف في الله لومة لائم .

- قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان** ﴾ [المائدة:٣] .

- وقال النبي ﷺ لأصحابه : « **الدين النصيحة** » . .

Created in Master PDF Editor

قالوا لمن ؟ قال : « لله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم »[١] .

بشرط أن تلتزم بثلاثة أمور من آداب النصيحة .

- **الأمر الأول** : أن تكون بينك وبينه فإن من نصح أخاه بينه وبين نفسه فقد نصحه ،ومن نصحه بينه وبين الناس فقد فضحه إلا إذا كان يجاهر بالمعصية ولا يرتدع فلك أن تنصحه علانية لتحذر الناس من شره .

الأمر الثاني : أن تتواضع في نفسك ولا تتكبر عليه فتكون عونًا للشيطان على أخيك.

في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : « **إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحدٍ** »[٢] .

---

(١) أخرجه مسلم (١ / إيمان / ٧٤ / ٩٥) .

(٢) أخرجه مسلم (٤ / ٢١٩٨ - ٢١٩٩ / ح ٢٨٦٥) .

Created in Master PDF Editor

* وروي أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى أصحابه يضربون رجلاً يشرب الخمر .

فقال : إذا رأيتم أخاكم ذا زلة فقوموه وسددوه وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانًا للشيطان على أخيكم .

- **الأمر الثالث :** العلم بالمسألة التي تنصح أخيك من أجلها . . أي أن تعرف وجه الصواب والخطأ . . الحلال والحرام فيها فالنصيحة أمانة فيجب أن تكون من أهلها وإلا اعتبرها أخيك إهانة عندما لا تبين له وجه الخطأ في قوله أو عمله فتقع في حرج شديد لجهلك وربما رأى ذلك تدخلاً فيما لا يعنيك وفضول منك .

* * *

Created in Master PDF Editor

الآفة الثانية :

الجدال والمراء

الجدال آفة هذا العصر كل واحد منا يرى في نفسه الصواب والحكمة في الرأي ، وغيره لا يفقه شيئًا وغير عليم ببواطن الأمور ، وأسوأ أنواع الجدال الجدال في دين الله تعالى . . لقد تجاهل العباد أمر الله تعالى بسؤال أهل العلم والذكر فهم أعلم الأمة بدين الله وقادرين على استنباط الحقيقة في الأمور المستحدثة ويفتون بما يوافق تعاليم الكتاب والسنة .

قال تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾ [النحل : ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ **وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ [آل عمران : ٧].

Created in Master PDF Editor

نعم لقد خص الله تعالى العلماء والفقهاء في توضيح ما استشكل من العبادات والمعاملات للناس وأخذ عليهم الميثاق في التبليغ والبيان ، وأمر عباده أن يسألوهم فهم أعلم الناس وأكثرهم فهمًا ودراية بعلوم القرآن والسنة ، ولكن الناس تناسوا هذا وأخذوا يفتون في مسائل تحتاج إلى تخصص ودراية شديدين ، ويعتقدون أنهم صاروا علماء لا غبار عليهم .

فلماذا يسألون ؟ ! وهم أهل فقه ورأي . وهذه كارثة .

يعتقد البعض منهم أنه ما دام قد سمع شريط أو شريطين أو قرأ له كتاب أو كتابين أنه صار أهلاً للمشورة والرأي وإليك ما روي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى من التابعين رحمه الله لتدرك خطورة ما نقول .

- قال أدركت في هذا المسجد مسجد النبي ﷺ مائة وعشرين صحابيًا ما أحد يسأل عن حديث أو فتوى إلا ود

أن أخاه كفاه ذلك ثم قد آل الأمر إلى أقوام يدعون العلم اليوم يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب لجمع أهل بدر واستشارهم .

* وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن ثمانية وأربعون مسألة قال في اثنين وثلاثين لا أدري ! .

وأنا لا أدري كيف يدري هؤلاء ويفتون في مسائل يحتار فيها جهابذة العلماء والفقهاء ؟ . . ماذا أقول ؟ هل هي الشطارة والفهلوة ؟ .

. . لا أدري ؟ ربما !!! وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ألم أقل لك إنها كارثة . . بل هي مصيبة عظمى أوقعنا فيها الشيطان وحب النفس واتباع الهوى. لقد أصبح الكثير منا يجادل بلا علم أو فقه وصار الأخ يأكل لحم أخيه ويسخر منه انتصاراً لرأيه السديد في اعتقاده ، وتفكيره السقيم هذا أدى به إلى ما هو أسوأ من الجدال وهو المراء.

ومعنى المراء : الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه .. وذلك إما في اللفظ أو المعنى أو في قصد المتكلم وهذا مرفوض اللهم إلا إذا كان للانتصار للدين ورد الأمر إلى الله ورسوله ﷺ بعيداً عن الشطحات الفكرية والآراء العنترية من أناس يجادلون في دين الله بغير علم ويضلون غيرهم من العباد ويكون ذلك من باب النصيحة وبشروطها التي ذكرناها سلفًا .

* روي أن يهوديًا قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمس عشرة سنة حتى تقاتلتم ؟ فقال علي رداً شديداً : ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم : ﴿ يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة ﴾ [الأعراف : ١٣٨] .

فعليك أخي القارئ بترك الجدال والمراء إلا في رد حق أو نصر دين .

Created in Master PDF Editor

وتذكر قول النبي ﷺ : « إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إليّ، وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » قالوا : يا رسول الله قد علمنا : الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال: « المتكبرون »[1]، والمتشدق المتطاول على الناس بكلامه والثرثار كثير الكلام..
والمتفيهق: هو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه ويظهر الفضيلة على غيره .

وما أصدق ما قال الشاعر : -

العلم زين والسكوت سلامة
فإذا نطقت فلا تكن مكثارًا

ما إن ندمت على سكوتي مرة
فلقد ندمت على الكلام مرارًا

---

(١) أخرجه الترمذي (٤ / ح ٢٠١٨) والحديث إسناده حسن .

Created in Master PDF Editor

الآفة الثالثة :

الفحش والسب وبذاءات اللسان

لا شك أن الفحش في الأقوال أو الأعمال والسب وغير ذلك ليست من أخلاق المسلم المؤمن بالله ربا وبمحمد نبيًا ورسولاً وبالإسلام دينا .

- وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ، ولا البذيء »**[1] .

- وعن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال : **«ما كان الفحش في شيء إلا شانه ، وما كان الحياء في شيء إلا زانه »**[2] .

(١) أخرجه الترمذي (١٩٧٧/١) وأحمد في مسنده (٤٠٥/١) والحديث إسناده صحيح .

(٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٤/٤) وأحمد(١٦٥/٣) والحديث إسناده صحيح .

Created in Master PDF Editor

ولكن للأسف الشديد تجد كثيراً من الناس إلا من عصمه الله تعالى يتحدث بلا حياء بأفحش الأقوال وبألفاظ وقحة صريحة تثير التقزز والاشمئزاز أخي القارئ . . تأمل التعبير القرآني الراقي في هذه الآية :

﴿ أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ﴾ .

[البقرة : ١٨٧] .

لقد استبدل الله تعالى بما يحدث بين الرجل وزوجته من جماع ومقدماته بكلمة بديلة طيبة لا يخجل الإنسان رجلاً كان أو امرأة من قولها ألا وهي « الرفث » وتارة أخرى يكنوا الجماع « باللمس » كقوله تعالى : **﴿ أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم ﴾** [النساء : ٤٣] .

* يقول ابن عباس رضي الله عنهما : إن الله حيي كريم يعفو ويكنو ، كنى باللمس عن الجماع فالمسيس

Created in Master PDF Editor

واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست بفاحشة ، وذكر صاحب « الإحياء »[١] عن هذا الموضوع كلامًا طيبًا قال : (وهناك عبارات فاحشة يستقبح ذكرها ويستعمل أكثرها في الشتم والتعبير ، وهذه العبارات متفاوتة في الفحش وبعضها أفحش من بعض . . وليس يختص هذا بالوقاع ، بل بالكناية بقضاء الحاجة عن البول والغائط أولى من لفظ التغوط والخراء وغيرهما ، فإن هذا أيضًا مما يخفى وكل ما يخفى يستحيا منه فلا ينبغي أن يذكر ألفاظه الصريحة فإنه فحش ، وكذلك يستحسن في العادة الكناية عن النساء فلا يقال : قالت زوجتك كذا بل يقال : قيل في الحجرة ، أو من وراء الستر ، أو قالت أم الأولاد ، فالتلطف في هذه الألفاظ محمود والتصريح فيها يفضي إلى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيا منها فلا ينبغي أن

---

(١) إحياء علوم الدين للشيخ أبي حامد الغزالي / ج٣ صـ ١٩٣ – ١٩٤ .

Created in Master PDF Editor

يعبر عنها بصريح لفظها كالبرص والقرع والبواسير . بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجرى مجراه ، فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان) اهـ .

أخي القارئ . . احذر فحش الكلام وعليك بالكناية أو الرمز كما كان يفعل الصالحين .

* وروي في السيرة العطرة لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى أنه كان يتحفظ ويبتعد عن الفحش من القول ، وخرج منه يومًا خراج تحت إبطه وجاءه أصحابه يسألونه ليروا ما يقول . . فقالوا : من أين خرج ؟ . . قال : من باطن اليد .

. . نعم هذه هي أخلاق السلف الصالح فامض على دربهم من طيب الكلام والبعد عن بذاءات اللسان وأن تكني ما لا بد لك من قوله ويؤدي إلى الفحش وفضلاً

Created in Master PDF Editor

عن الفحش في القول هناك السب وللأسف الشديد أسمع كثيرًا من الشباب يلجأ إلى السب بسبب ، وبدون سبب على سبيل المداعبة والمزاح وهذا إن دل على شيء فهو يدل على انحطاط أخلاق من يفعلون ذلك ، ولو يعلمون خطورة سب الأخ لأخيه لفكروا ألف مرة قبل أن تتحرك ألسنتهم بسيل من الشتائم والبذاءات ولو على سبيل المزاح .

قال ﷺ : « **سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر** »[1] .

وأحذر إخواني من الشباب بسب الوالدين فهو من الكبائر والعقوق وكم أسمع وأرى وحسبي الله ونعم الوكيل .. شاب يقول لأخيه يا ابن كذا ، فيرد عليه مبتسمًا وضاحكًا . أنا يا ابن كذا .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) أخرجه البخاري (١ / ح ٤٨ / فتح) ، ومسلم (١ / إيمان / ٨١ / ح ١١٦) .

Created in Master PDF Editor

قال ﷺ : « **من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه** » ، قالوا : يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه ؟ قال : «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه** » [1] .

فاحذر من الفحش في القول والسب وبذاءات لسانك فالكلمة إن خرجت منك إما لك أو عليك فتدبر ذلك واتق الله حيثما كنت .

* * *

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤ / ١٦٢) وهو في صحيح الجامع (٦٦٩٦) .

الآفة الرابعة :

الغناء والشعر

الغناء والشعر أمر قد عمت به البلوى خصوصًا بين الشباب إلا من رحم ربي تجده يترنم بأغنية أو لحن في جيئته وذهابه ، في ليله ونهاره .

حتى إن شباب هذا الجيل إلا من عصمه الله تعالى إن قلت له أن شريط الكاسيت للشيخ « محمد جبريل » أو «محمد صديق المنشاوي » أو غيرهما وفيه كلام الله تعالى تبلغ وهبته ٤ جنيهات مثلاً .. انفجر قائلاً هذا حرام .. ما هذا الغلاء والسعر الفاحش أدفع ٤ جنيهات كاملة .. من أين ؟! هذا جشع وطمع .. و .. و .. إلخ .

ونفس الشاب تجده بعد ساعة واحدة من الزمن قد يشتري شريط كاسيت هابط لأغنية شبابية عليها موسيقى

Created in Master PDF Editor

أن أخاه كفاه ذلك ثم قد آل الأمر إلى أقوام يدعون العلم اليوم يقدمون على الجواب في مسائل لو عرضت لعمر بن الخطاب لجمع أهل بدر واستشارهم .

* وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه سئل عن ثمانية وأربعون مسألة قال في اثنين وثلاثين لا أدري ! .

وأنا لا أدري كيف يدري هؤلاء ويفتون في مسائل يحتار فيها جهابذة العلماء والفقهاء ؟ .. ماذا أقول ؟ هل هي الشطارة والفهلوة ؟ .

.. لا أدري ؟ ربما !!! وإنا لله وإنا إليه راجعون .

ألم أقل لك إنها كارثة .. بل هي مصيبة عظمى أوقعنا فيها الشيطان وحب النفس واتباع الهوى. لقد أصبح الكثير منا يجادل بلا علم أو فقه وصار الأخ يأكل لحم أخيه ويسخر منه انتصاراً لرأيه السديد في اعتقاده ، وتفكيره السقيم هذا أدى به إلى ما هو أسوأ من الجدال وهو المراء.

Created in Master PDF Editor

قال تعالى : ﴿ ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين * وإذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم ﴾ .

[لقمان : ٦ - ٧] .

- قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية : (أنها تبين حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله وأقبلوا على استماع المزامير والغناء والألحان وآلات الطرب ، ثم ذكر ابن مسعود وهو يسأل عن هذه الآية : ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله﴾ . قال : هو الغناء والله الذي لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات .

- وقال تعالى : ﴿ أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون ﴾ .

[النجم : ٥٩ - ٦١] .

Created in Master PDF Editor

قال ابن كثير في تفسيره : قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما : السمود هو الغناء في لغة حمير يقال اسمد لنا . أي غني لنا وكذلك قال القرطبي في تفسيره ، وقال : كانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا فنزلت هذه الآية)[1] اهـ

ومن السنة النبوية الصحيحة في تحريم هذه الآفة ما يلي : -

- قال ﷺ : « **إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة** »[2] .

- وقال أيضًا : « **يكون في أمتي خسف وقذف ومسخ**». قيل يا رسول الله : متى ؟ قال : « **إذا ظهرت المعازف والقينات واستحلت الخمر**»[3] .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير / ج٤
(٢) قال الألباني في صحيح سنن الترمذي (٨٠٤) إسناده حسن .
(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٨٧)

Created in Master PDF Editor

والقينات جمع قينة وهي المغنية .

وفي هذه الأدلة من القرآن والسنة الكفاية في بيان التحريم والمسلم الحق يكفيه دليل واحد .

ومن يجادل بأن الغناء حلال على إطلاقه دون الالتزام بشروط الأغنية الحلال نذكر له هذا الحوار بين ابن عباس رضي الله عنهما ورجل جاء يسأله هل الغناء حلال أم حرام ليعود إلى رشده ويتقي ربه .

- جاء في كتاب « إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان » أن رجلاً جاء لابن عباس فقال : الغناء أحلال هو أم حرام ؟

قال ابن عباس : لا أقول حرامًا إلا ما في كتاب الله .

فقال : أفحلال هو ؟

قال : ولا أقول ذلك . . ثم قال ابن عباس للرجل : أرأيت الحق والباطل إذا جاء يوم القيامة فأين يكون

الغناء؟ . . قال الرجل : يكون مع الباطل قال ابن عباس : اذهب فقد أفتيت نفسك . اهـ

وبعد . . أخي القارئ قد تسأل وما هي شروط الغناء الحلال ؟

والجواب : على الأقل ثلاثة من الشروط : -

* الأول : أن لا تصاحبها آلات وتربة فهي من مزامير الشيطان عدا الدف وللنساء فقط وفي الأفراح والأعياد وفي مجتمعهن الخاص ولا يجوز للرجال .

ودليل ذلك قول النبي ﷺ : « **ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف** »[1] .

- وقال ﷺ : « **إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين صوت عند نغمة وصوت عند مصيبة** »[2] .

---

(١) انظر نص الحديث للبخاري (١٠ / ٥٥٩٠ / فتح) .
(٢) صحيح سنن الترمذي (٨٠٤) وقال الألباني إسناده حسن .

Created in Master PDF Editor

* والثاني : أن تكون كلمات الأغنية تحض على الفضيلة أو حب الوطن أو حفظ العرض أو الدين .

فالكلمات البذيئة فحش مرفوض وكلمات الحب والعشق دعوة إلى الحرام والخروج عن حدود الله تعالى وهو القائل :

﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

* والثالث : أن لا تكون من رجال لنساء أو من نساء لرجال لأن ذلك يدعو إلى الفتنة والإخضاع بالقول فضلاً عن الاختلاط والتبرج والابتذال والرقص وخلافه كما نرى في الحفلات التي يختلط فيها الحابل بالنابل .

قال تعالى : ﴿ إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفًا ﴾ .

[الأحزاب : ٣٢] .

Created in Master PDF Editor

وإن كان الأمر لنساء النبي ﷺ فهو لنساء المسلمين من باب أولى ، والنبي ﷺ قد حذر من الاختلاط بين الرجال والنساء درءًا للفتنة فقال ﷺ : « **ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء** »[1] .

وبعد أخي القارئ أن أردت الفلاح والنجاة يوم القيامة فأقلع عن هذه الآفة إلا ما رخص فيه الشرع ، والله المستعان .

❋ ❋ ❋

(١) أخرجه البخارى (٧ / ص١١) ومسلم (٤ / ٢٠٩٧ / ح ٩٧) .

Created in Master PDF Editor

الآفة الخامسة :

الغيبة

الغيبة : هي ذكرك أخاك بما يكره حتى لو كانت فيه لأنه إن كانت فيه فقد اغتبته ، وإن لم تكن فيه فقد بهته .

مثال ذلك أن تقول عن أخيك في غيبته أنه طويل أو قصير ، أو ضعيف الذكاء والفهم ، أو غير ذلك فيه أو في زوجته وأولاده ، بالكلام أو الإيحاء والتقليد لحركاته أو غير ذلك فهي غيبة في حق أخيك وهي محرمة في القرآن والسنة :

قال تعالى : ﴿ **ولا يغتب بعضكم بعضًا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم** ﴾ [الحجرات : ١٢] .

ومعنى الآية : ولا يغتب بعضكم بعضًا كما تكرهون

Created in Master PDF Editor

أكل لحم أخيكم ميتًا فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء إذا كان غائبًا .

وقال ﷺ : « **أتدرون ما الغيبة ؟** » ، قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « **ذكرك أخاك بما يكره** » قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : « **إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته** » (١) .

* وحديث آخر أشد زجرًا من هذا الحديث عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة : تعني قصيرة .. فقال ﷺ : «**لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته** » (٢) .

ومعنى مزجته : خالطته مخالطة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها .

---

(١) أخرجه مسلم (٤ / البر / ٢٠٠١ / ح ٧٠) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤ / ح ٤٨٧٥) ، والترمذى (٤ / ح ٢٥٠٢) وإسناده حسن .

Created in Master PDF Editor

* ومن ثم اعلم أخي القارئ . . أن ذكرك أخاك بما يكره ضياع لثوابك وحسناتك وهي أغلى ما تملك فحافظ عليها وعف لسانك عن الغيبة .

* وروي عن الحسن البصري رحمه الله : أن رجلاً قال: إن فلانًا قد اغتابك . فبعث إليه طبقًا من الرطب . . فجاء الرجل متعجبًا يقول : اغتبتك وأهديت إلي قال : بلغني أنك أهديت إلي حسناتك فأردت أن أكافئك عليها .

* ومما يروى عن « إبراهيم بن أدهم » رحمه الله : أنه استضاف ناسًا فلما قعدوا على الطعام جعلوا يغتابون رجلاً . . قال إبراهيم : إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم ، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز .

. . واعلم أن صاحب الغيبة غير أمين فإن اغتاب عندك غيرك فسوف يغتابك عند غيرك . عليك أن تصون لسانك عن غيبة إخوانك وتنائى بنفسك عن هذا العمل القبيح ،

Created in Master PDF Editor

وكم من المجالس الخاصة ، والعامة يأكل الناس بعضهم لحم بعض بلا رحمة أو شفقة أو خلق أو دين فإن كنت تجلس مع مثل هؤلاء فأنت أمام أمرين :

الأمر الأول : أن تغير المنكر برد المغتاب إلى الحق والصواب .

الأمر الثاني : إن لم تستطع فلا تجلس معهم ولا تشاركهم معصيتهم لأن المستمع للغيبة كالمغتاب تمامًا .

وإليك هذه الموعظة الطيبة لتتعلم منها لسيدنا عيسى عليه السلام لبعض تلاميذه .

- قال لهم : أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم ، ثم كشفت الريح عن بعض عورته ، كنتم تسترون عليه ؟

قالوا : نعم قال : بل كنتم تكشفون البقية .

قالوا : سبحان الله ! كيف نكشف البقية ؟!

قال : أليس يذكر عندكم الرجل بالسوء فتذكرونه بأسوأ

Created in Master PDF Editor

ما فيه ، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته .

* وروي أيضًا عن سفيان بن الحسين أنه قال: كنت جالسًا عند إياس بن معاوية فمر رجل فنلت منه . . فقال : اسكت. ثم قال: يا سفيان. . هل غزوت الروم؟ قلت: لا .

قال : هل غزوت الترك ؟ . . قلت : لا . . قال : سلم منك الروم ، وسلم منك الترك ، ولم يسلم منك أخوك المسلم .

قال : فما عدت إلى ذلك بعد .

نعم أخي القارئ . اتعظ بأخلاق هؤلاء السلف الصالح واحذر من التحدث بالغيبة فضلاً عن الاستماع إليها وليكن حظ المؤمن منك ثلاثة كما يقول يحيى بن معاذ رحمه الله.

إحداها : أنك إن لم تنفعه فلا تضره .

والثانية : إن لم تسره فلا تغمه .

والثالثة : إن لم تمدحه فلا تذمه .

Created in Master PDF Editor

ما رخص فيه الشرع في الغيبة :-

أخي القارئ : على الرغم من أن الغيبة محرمة إلا أن النهي عن الغيبة على إطلاقها من الصعب أن يفلت من الوقوع فيها مؤمن فضلاً عن تعطل مصالح العباد ، ولهذا رخص الشرع في الغيبة في حدود معينة لا تتجاوزها وإليك هذه الرخص مع البيان والتوضيح والله المستعان .

* قال الإمام النووي رحمه الله في شرح صحيح مسلم تباح الغيبة لغرض شرعي وذلك في ستة أمور : -

١ - التظلم : فيجوز للمظلوم أن يتظلم للسلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية أو قدرة على إنصافه ، فيقول : ظلمني فلان ، أو فعل كذا .

٢ - الاستعانة على رد المنكر : ورد العاصي إلى الصواب فيقول لمن له قدرة فلان يعمل كذا ، فازجره عنه، ونحو ذلك ويكون مقصوده إزالة المنكر .

Created in Master PDF Editor

٣ - **الاستفتاء :** بأن يقول للمفتي : فلان ، أو أبي ، أو زوجي ظلمني بكذا ، فهل له ذلك ؟ وما طريقي في الخلاص ؟ فهذا جائز للحاجة لحديث « هند » : إن أبا سفيان رجل شحيح[1] .

٤ - **تحذير المسلمين من الشر :** وذلك من وجوه ، منها جرح المجروحين من الرواة والشهود والمصنفين ، وذلك جائز بالإجماع ، بل واجب صونًا للشريعة ، ومنها إذا رأيت متفقهًا يتردد إلى فاسق أو مبتدع يأخذ عنه علمًا وخفت عليه ضرره.فعليك نصيحته ببيان حاله قاصدًا النصيحة ، ومنها أن من يكون له ولاية لا يقوم على وجهها لعدم أهليته أو لفسقه فيذكره لمن له عليه ولاية ليستدل به على حاله فلا يغتر به ويلزم الاستقامة .

(١) حديث هند ، أنها جاءت للنبي ﷺ وقالت : إن أبا سفيان رجل شحيح وليس يعطيني ما يكفيني وولدي إلا ما أخذت منه وهو لا يعلم قال : «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف » متفق عليه .

Created in Master PDF Editor

٥ – أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته : كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس (الضرائب) ، وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز ذكره بغيره إلا بسبب آخر .

٦ – التعريف : – فإذا كان معروفًا بلقب الأعمش والأعرج والأعمى ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره تنقصًا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله أعلم[١] اهـ

وبعد أخي القارئ .. قد تقول وتتساءل ما هي كفارة الغيبة ؟ وكيف أتوب منها؟

والإجابة أن أهل العلم قالوا : إن بلغت أخيك غيبتك له فيجب عليك أن تستحل منه وتستغفر الله تعالى ، وهناك من رأى عدم الاستحلال والاكتفاء بالاستغفار ، وإن لم تبلغ له غيبتك فلتستغفر الله وتتوب إليه ولا كفارة للغيبة

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي باب النهي عن السباب .

إلا الاستغفار والتوبة . . والتوبة لها شروط وهي .

١ - أن تقلع عنها وتعزم على ألا تعود .

٢ - أن تثني على من اغتابك في المجالس التي كنت تذمه فيها .

٣ - أن ترد عنه الغيبة جهدك ،فتكون هذه بتلك .

ويستحب لصاحب الغيبة أن يعفو لقوله تعالى : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [الشورى : ٤٣] .

* * *

Created in Master PDF Editor

الآفة السادسة :

النميمة

والنميمة كما يقول : أبو حامد الغزالي هي : نقل كلام فلان إلى الذي قيل فيه ، وقد تجتمع الغيبة مع النميمة فمثلاً يغتاب إنسان أخيه أمامك فتنهره فيغضب فيقول : أتدافع عنه إنه يقول عنك كذا وهذه هي النميمة .

* يقول يحيى بن أكثم رحمه الله .. النمام أشر من الساحر ويعمل النمام في ساعة ما لا يعمل الساحر في شهر .. والقرآن والسنة تحذران من النميمة وشرها . قال تعالى : ﴿ هماز مشاء بنميم ﴾ [القلم : ١١] .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة نمام » [١] .. وحديث آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين

(١) أخرجه البخاري (١٠ / ح ٦٠٥٥ / فتح) .

فقال : « **إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير ! بلى إنه كبير: أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة ، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله** »[1] .

* ولتدرك خطورة النميمة إليك هذه القصة التي ذكرها «الذهبي » في كتابه الكبائر .

- روي أن رجلاً رأى غلامًا يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط فاستخف بالعيب واشتراه فمكث عنده أيامًا ثم قال لزوجة سيده : إن سيدي يريد أن يتزوج عليك ويتركك ، إنه لا يحبك فإن أردت أن يعطف عليك ويترك ما عزم عليه ، فإذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته ، واتركي الشعرات معك . فقالت في نفسها: نعم واشتعل قلب المرأة وعزمت على ذلك إذا

(١) أخرجه مسلم (١ / طهارة / ٢٤٠ ، ٢٤١ / ح ١١١) والبخاري (١/ ح ٢١٦ / فتح) .

نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال : يا سيدي إن سيدتي قد اتخذت لها صديقًا ومحبًا غيرك ومالت إليه وتريد أن تتخلص منك وقد عزمت على ذبحك الليلة وإن لم تصدقني فتناوم لها الليلة وانظر كيف تجئ إليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به . وصدقه سيده فلما كان الليل جاءت المرأة بالموس لتحلق الشعرات من تحت لحيته ، والرجل يتناوم لها فقال في نفسه: والله صدق الغلام بما قال ؛ فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت إلى حلقه قام وأخذ الموسي منها وذبحها به .

فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشؤوم ولذلك سمى الله النمام فاسقًا في قوله تعالى : ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ .

[الحجرات : ٦] .

Created in Master PDF Editor

ولذلك إذا جاءك رجل وذكر عندك نميمة فلا تعيره اهتمامًا ، بل هو لا يستحق احترامك أيضًا ، لأنه يريد الوقيعة بينك وبين من نم عليه ، واعلم أن من نم لك نم عليك ، ولك في هذا الرجل الذي جاء إلى عمر بن عبد العزيز ورده عبرة وعظة وها هي :

* جاء رجل إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وذكر عنده رجلاً فقال له : إن شئت نظرنا في أمرك . فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية : ﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ ، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية : ﴿هماز مشاء بنميم ﴾ [القلم : ١١] .

وإن شئت عفونا عنك . . قال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليها أبدًا . هذا وقد يحلف لك النمام بأنه صادق ويريد مصلحتك فإن لم تكن النميمة مما رخص فيه الشارع بقولها وهي نفس رخص الغيبة فلا تصدقه ورده إلى الحق .

Created in Master PDF Editor

* وجاء في كتاب (تنبيه الغافلين) :

إن سليمان بن عبد الله كان جالسًا وعنده الزهري فجاء رجل فقال له سليمان : بلغني أنك وقعت في ، وقلت كذا وكذا ، فقال الرجل : ما فعلت ، وما قلت شيئًا فيك . فقال له سليمان : إن الذي أخبرني كان صادقًا ، فقال الزهري رحمه الله: لا يكون النمام صدوقًا . قال سليمان: صدقت ، اذهب بسلام .

ولهذا قال بعض الحكماء : من أخبرك بشتم عن أخ فهو الشاتم لا من شتمك

وما أصدق قول الشاعر : -

من يخبرك بشتم عن أخ   فهو الشاتم لا من شتمك

ذاك شيء لم يواجهك به   إنما اللوم على من أعلمك

ومن ثم أخي القارئ . . احذر النميمة والوقوع فيها ولا تصدق قائلها ، ولا تظن بأخيك ظن السوء فإن بعض الظن

Created in Master PDF Editor

إثم واحفظ لسانك من الخروج عن حدود الله وتذكر قول النبي ﷺ :

« إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانًا كما أمركم ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يحقره ، التقوى ههنا » . ويشير إلى صدره « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام ، دمه ،وعرضه ، وماله . إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ، ولا صوركم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم »[1] .

***

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة (٩ / ح ٥١٤٣ / فتح) .

Created in Master PDF Editor

الآفة السابعة :

الكذب

وهذه آفة عمت بها البلوى ، ويندر أن تجد إنسانًا صادقًا مائة في المائة فالكذب صار سمة هذا العصر لكثير من العباد إلا من عصمه الله تعالى ، والناس التي تمارس الكذب لها معاذير أقبح من الذنوب .

يقولون الكذب يفتح لك الابواب المغلقة .

ويقولون بالكذب تقضى مصالحك وتمشي أمورك .

ويقولون الكذب وسيلة لا تضر للتخلص ممن لا تريد وهكذا . .

وهم من أجل ذلك جعلوا للكذب ألوان . . فهذه كذبة بيضاء وتلك سوداء والأبيض حلال في رأيهم ما دام لا يسبب ضررًا .

Created in Master PDF Editor

٥ - أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته : كالخمر ومصادرة الناس وجباية المكوس (الضرائب) ، وتولي الأمور الباطلة فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز ذكره بغيره إلا بسبب آخر .

٦ - التعريف : - فإذا كان معروفًا بلقب الأعمش والأعرج والأعمى ونحوها جاز تعريفه به ويحرم ذكره تنقصًا ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى والله أعلم[1] اهـ

وبعد أخي القارئ .. قد تقول وتتساءل ما هي كفارة الغيبة ؟ وكيف أتوب منها؟

والإجابة أن أهل العلم قالوا : إن بلغت أخيك غيبتك له فيجب عليك أن تستحل منه وتستغفر الله تعالى ، وهناك من رأى عدم الاستحلال والاكتفاء بالاستغفار ، وإن لم تبلغ له غيبتك فلتستغفر الله وتتوب إليه ولا كفارة للغيبة

---
(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووي باب النهي عن السباب .

Created in Master PDF Editor

يكتب عند الله كذابًا »[1] .

ألا تعلم أن الكذب من علامات المنافق كما أنه مهانة للمرء .

ولله در القائل :

لا يكذب المرء إلا من مهانته
أو فعله السوء أو من قلة الأدب

لبعض جيفة كلب خير رائحة
من كذبة المرء في جد وفي لعب

* ومن رحمة الله بعباده وحتى لا تتعطل مصالحهم ويضرون أنفسهم شرع على لسان نبيه ﷺ أن يرخص للأمة في الكذب في ثلاثة أحوال فقط .

١ - كذب الرجل في الحرب .

---

(١) البخاري (١٠ / ح ٦٠٩٤ / فتح) ، ومسلم (٤ / البر / ٢٠١٢ - ٢٠١٣ / ح ١٠٣ : ١٠٥) .

Created in Master PDF Editor

٢ - كذب الرجل على زوجته لإصلاح شأنها .

٣ - الكذب في الإصلاح بين المتخاصمين وإليك الدليل وشرحه .

حتى لا تفسر هذه الرخص بهواك وشطارتك .. روى البخاري ومسلم عن أم كلثوم رضي الله عنها .. قال ﷺ : « **ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً** » وزاد مسلم في رواية له : (قالت أم كلثوم : ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث .. تعني الحرب ، والإصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها)[1] .

وقال النووي في شرح الحديث :

(اختلفوا في المراد بالكذب المباح في هذه المواضع

(١) أخرجه البخاري (٥ / ح ٢٦٩٢ / فتح) ، ومسلم (٤ / البر / ٢٠١٢ / ح ١٠١) .

Created in Master PDF Editor

الثلاثة ، فقال قوم : هو على إطلاقه ، وأنه يباح الإخبار بما لم يكن أنه كان ، وقال آخرون منهم الطبري : لا يجوز الكذب على معناه الحقيقي في شيء من ذلك أصلاً وما جاء من الإباحة في هذا المراد به التورية ، واستعمال المعاريض ، لا صريح الكذب مثل أن يعد زوجته أن يحسن إليها ، ويكسوها كذا ، وينوي إن قدر الله . يعني يأتي بكلمات محتملة ، يفهم المخاطب منها ما يطيب قلبه ، وإذا سعى في إصلاح ذات البين نقل عن كل فريق للآخر كلامًا جميلاً ، وكذا في الحرب كقوله ، مات قائد العدو ، وينوي قائدهم إلى الهزيمة ، أو إلى النار ، وأما الكذب على الزوجة وكذبها على زوجها ، فالمراد به إظهار الود ، والوعد بما لا يلزم ونحو ذلك ، فأما المخادعة في منع ما عليه أو عليها ، أو أخذ ما ليس له أو لها فهو حرام بالإجماع) اهـ .

وبمناسبة الكلام عن التعريض والتورية قد تسأل هل يجوز ذلك وكيف ؟

والإجابة من كتاب « الأذكار » للنووي رحمه الله تعالى قال ما ملخصه :

(اعلم أن هذا الباب من أهم الأبواب ، فإنه مما يكثر استعماله ، وتعم به البلوى ، فينبغي أن نعتني بتحقيقه ثم قال : اعلم أن التورية والتعريض معناهما : أن تطلق لفظًا هو ظاهر في معنى وتريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ ، لكنه خلاف ظاهره ، وهذا ضرب من التغرير والخداع . قال العلماء : فإن دعت إلى ذلك مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب أو حاجة لا مندوحة عنها إلا بالكذب فلا بأس بالتعريض ، وإن لم يكن شيء من ذلك فهو مكروه وليس بحرام . إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق ، فيصير حينئذ حرامًا .

وروي بعض الآثار في ذلك منها : -

- قال النخعي : لا تقل لابنك أشترى لك سكراً ، بل قل : أرأيت لو اشتريت لك سكراً .

- وكان إذا طلبه رجل قال للجارية : قولي له اطلبه في المسجد ، وقال غيره : خرج أبي في وقت غير هذا .

- وكان الشعبي يخط دائرة ويقول للجارية : ضعي أصبعك فيها ، وقولي : ليس هو ها هنا ، ومثل ذلك قول الناس في العادة لمن دعاه لطعام : أنا على نية موهمًا أنه صائم ومقصوده على نية ترك الأكل » [1] اهـ .

وغير ذلك من أنواع التعريض المباح بالتوضيح الذي ذكره الإمام النووي ، رحمه الله تعالى .

* * *

---

(١) انظر « الأذكار » للنووي - باب التعريض والتورية - صـ ٣٧٢ .

Created in Master PDF Editor

الآفة الثامنة :

السخرية والإستهزاء

ما أكثر المجالس الخاصة والعامة التي يسخر ويستهزئ فيها البعض من غيرهم ، سواء بالغيبة ، أو النميمة ، أو الإيحاء ، أو التقليد لحركاتهم وطريقتهم في الكلام وبيان عيوبهم ؛ لإضحاك أصدقائهم لتحلو السهرة والتسلية لقتل الوقت .. إلخ .

قال تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ .

[الحجرات : ١١] .

Created in Master PDF Editor

وفي السنة الصحيحة تحذير لهؤلاء من السخرية لإضحاك القوم واحتقار إخوانهم قال ﷺ :

« **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم** »(١) .

وحديث آخر قال ﷺ :

« **إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا ، حتى لا يبغي أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد** »(٢) .

قال أهل اللغة : البغي : التعدي والاستطالة .

أخي القارئ . .

بعد كل هذا التحذير من الله ورسوله ﷺ من السخرية والاستهزاء تسمع في المجالس المختلفة في البيوت والنوادي والحدائق العامة وأماكن العمل والمقاهي . . إلخ استهزاء وسخرية ونكات سخيفة عن الصعايدة ونوادرهم لإضحاك

(١) أخرجه مسلم (٤ / بر / ١٩٨٦ / ح ٣٢) .
(٢) أخرجه مسلم (١ / إيمان / ١٠٢ / ح ١٧١) .

Created in Master PDF Editor

القوم فإن علمت أن الله نهى عن ذلك ويبغض هذا أدركت خطورة ما تقول لقول النبي ﷺ :

« إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقى لها بالاً يهوى بها في جهنم» [1] .

* * *

(١) أخرجه البخارى (١١ / ح ٦٤٧٨ / فتح) .

Created in Master PDF Editor

وختامًا ..

هذه ثمانية من الآفات عن خطورة اللسان فاحفظ لسانك أخي القارئ عما يغضب الله تعالى .

واعلم أن الكلمة أمانة فلا تقل إلا حقًا ولا تنطق إلا ذكرًا والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وكتبه الفقير إلى عفو ربه

سيد مبارك (أبو بلال)

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

Created in Master PDF Editor

الفهرس

Created in Master PDF Editor